محاولة لفهم الصورة الراهنة لحركة المقاومة

شفيق الحوت

من الحقائق المقررة في علم النفس ان الرؤية انتقائية . اي ان الانسان يرى ما يحب ان يرى . ويحكم هذا الموقف النفسي عدد من العوامل الذاتية في النفس البشرية ، منها ما هو قابع في أعماق اللاوعي ومنها ما هو في الوعي ويمكن عادة تحديده وكشف هويته . واذا كان يصعب التسليم بشبه هذه الحقيقة بالنسبة للمرئيات المادية ، باعتبار ان هذه المرئيات تحتفظ لنفسها بحد ادنى من المواصفات الثابتة والواضحة ، فمن المؤكد ان شبه الحقيقة هذه تصح كثيرا بالنسبة للمرئيات المعنوية والمتحرك منها بشكل خاص ، كالاحداث السياسية والثورات وحركة التاريخ ككل . فان طبيعة هذه القضايا لا تستكمل عادة دون ان يضيف عليها المراقب من ذاته وهو يقوم بعملية التحليل والتفسير والعرض . وهنا تكمن مشكلة العصر الكبرى في قراءة التاريخ وتحليل احداثه ، ولا سيما تلك الاحداث الجذرية التي تتناول بالتغيير مصائر الشعوب والاوطان والانظمة . وتفاديا لاثر العوامل الذاتية في طرح مشاكل التاريخ ، بل ومشاكل الانسان عامة ، برز في اصول الدراسات الاجتماعية والسياسية والانسانية ، ما يسمى بالمنهج العلمي والموضوعية . غير انه يبقى مستحيلا ، او شبه مستحيل ، ان نصل بالمنهجية العلمية والتجرد الموضوعي الى ذلك المستوى من الصحة والدقة الذي وصلنا اليه في القضايا العلمية المحضة كالفيزياء والكيمياء والرياضيات الى غير ذلك من العلوم ، لان الانسان في هذه الاخيرة نادرا ما يكون صاحب مصلحة مباشرة كما انه لا يمكنه ان يفرض من ذاتيته شيئا يضيفه على حقائقها الثابتة ، المعروف منها والمجهول على حد سواء . كذلك لا يستطيع ان ينقص من هذه الحقائق ، بينما في العلوم الانسانية يختلف الوضع ويصبح للرأى والاجتهاد اهمية اساسية لا تكتمل صورة الحقيقة بدونها .

كان لا بد من هذه المقدمة ، وانا بصدد الكتابة عن مشكلة تاريخية بالغة التعقيد ، هي المشكلة الفلسطينية ، وذلك لاقرر سلفا عددا من النقاط : **اولا** : لاقرار امكانية ، وربما ضرورة تعدد الرؤى في فهم القضية الفلسطينية وكل ما نتج عنها ، نافيا عن نفسي ذلك الغرور الذي اتسمت به مجموعة من الكتاب الذين يتناولون هذا الموضوع ويضعون القارىء في زاوية ضيقة ، واحيانا في زنزانة كتب على بابها « من ليس معي فليس مني وليس مع القضية » . **ثانيا** : للاعتراف بأنني اكتب ما اكتب تحت ظلال اثر نفسي يحرك رؤياي ويوجهها . وهذه الظلال مستمدة من ايماني بأن القضية الفلسطينية هي المحور الاساسي للحركة السياسية العامة في الوطن العربي . اي بعبارة اخرى فان منطلقي فيما اكتب هو منطلق قومي عربي يرى في البعد القومي للقضية الفلسطينية اساسا لا يجوز ولا يمكن تجاوزه او القفز عنه دون الوقوع في منزلقات الخطأ التاريخي للرؤية . **ثالثا** : تمهيدا للقارىء بأن يدرك بأن الصورة السياسية ، هي صورة ديناميكية متحركة